الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص.ب : ٤١٢٣ بيروت ـ تلفون : ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - Liban
B.P. : 4123 - Tél. : 232832

صاحبها ومديرها المسؤول
الدكتور سهيل إدريس

Propriétaire - Directeur
SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير
عايدة مطرجي إدريس

Secrétaire de rédaction
AIDA M. IDRISS

الادارة

شارع سوريا ـ رأس الخندق الغميق ـ بناية مروة

الاشتراكات

في لبنان : ١٢ ليرة ■ في سوريا ١٥ ليرة
في الخارج : جنيهان استرلينيان او ستة دولارات
في أميركا : ١٠ دولارات ■ في الارجنتين ١٥٠ ريالا
الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ليرة لبنانية او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما
حوالة مصرفية او بريدية

الاعلانات
يتفق بشأنها مع الادارة

العدد ١١ ـ ت٢ (نوفمبر) ١٩٦٢ ـ السنة العاشرة

من الاعتقادات الشائعة ، عند عامة المثقفين في العالم قاطبة ، ان الحضارة الغربية الحالية ، تعاني مرحلة نزعها الاخير .

ومنذ القرن التاسع عشر ، بدأ بعض المفكرين البارزين ينشرون هذا الاعتقاد، ويدعمونه بالتفسيرات المنطقية. وافكار نيتشه واشبنغلر وتوينبي في هذا المجال ، دخلت نطاق الثقافة اليومية .

والاشراط الدالة على سقوط هذه الحضارة ، تكاد تشب من كل مركز من مراكزها الكبرى سواء في السلوك او الافكار او في ميادين النشاط المختلفة .

ان الاجماع ، قد انعقد تقريبا ، على ان الطاقة النشيطة لهذه الحضارة ، قد نفدت . وان هذه الحضارة ، في الوقت الحاضر تستهلك نفسها . كالجمل يبدأ بأكل سنامه قبل ان يموت .

وتطرف البعض ، فقالوا بان عدم تزايد السكان عند الشعوب الغربية ، بالنسبة لتزايده السريع في الشعوب المتأخرة ، انما يعود سببه ، الى نفاد الطاقة البيولوجية من التكوين الفسيولوجي لانسان الحضارة الحديثة .

ان فاجعة هذا السقوط ، والتنبه الواعي له ، سوف يلفت الطليعة الانسانية نحوه ، لكي تتخذ الموقف الملائم له، ولكي تجيب على هذا الفعل، برد يتفوق عليه ويجتازه .

والشعوب الغربية ، شعوب هذا السقوط ، لا يمكنها بالطبع ، ان

ثورة طريق الحضارة العربية

بقلم أنور قصيباتي

تتدخل في مصيره ، لانها غير قادرة على الهاب امكانيات حضارة جديدة . بل انها لم تعد تملك النظرة الجدية التي يمكنها بها ان تتفحص طبيعة هذا السقوط ، وتؤخر اجله ، ولو لمدة محدودة . الا ان اصواتا ، تظل باهتة على الرغم من حرارتها ، ترتفع بين الحين والاخر ، من قلب هذا الركام الخفي ، لكي تنبه على خطر الانهيار ، وتقدم اقتراحات ، بواسطتها يمكن ان تنتصب اعمدة ضخمة ، تسند هذا البناء المتداعي ، وتؤخر اجل سقوطه .

ومن ابرز هذه الاصوات . صوت توينبي ، وصوت ولسون . وكلاهما ارتأى حلا واحدا ، وهو ان يبحث عن عقيدة روحية لهذه الحضارة الالية . وكلاهما اقترح ان تكون المسيحية هي هذا التيار الروحي ، الذي يمكنه ان يشيع الدفء في الاوصال الباردة .

وهذا اقتراح غريب ، لو أمكن الاخذ به ، لكانت المسيحية للحضارة الحديثة ، كالرقعة على الثوب السليم ، ولكان هذا المخلوق المقترح ، كنتاج العمليات الجراحية التي قيل بان الروس يعكفون على تحقيقها : تركيب رأس حيوان لجسم انساني .

* *

سؤال بدأ يرتسم في الافق الانساني الواسع : لمن الدور الان في ابداع حضارة جديدة ؟ ان الذين يتحفزون للاجابة على هذا السؤال الخطير ، سيبرزون من قلب الشعوب الفطرة ، التي ما زالت طاقاتها كامنة ، غير مثارة، الشعوب التي يطلق عليها في المصطلح الدولي الحديث،

الشعوب المتخلفة اقتصاديا ، الشعوب المتأخرة ، شعوب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية .

امة من هذه الامم ، سوف تتحفز للبدء في عملية بناء حضارة جديدة . وهذه الامم بمجموعها ، تعي ظاهرة سقوط الحضارة الحديثة ، اكثر مما يعيها اصحابها ، لموقفها الخارجي منها ، وامكانية رؤية وحدتها وتكاملها .

اما نحن ، فلن نترك للمستقبل ، امر تحديد هذا الجواب ، لاننا نريد استعجاله. ولاننا نملك كل المبررات التي تدفعنا الى ضرورة الاجابة عليه الآن . فنقول بكل تهور : ان الدور الان ، لابداع حضارة جديدة ، هو لنا نحن العرب .

وريثما تبرهن امة من أمم القارات المتأخرة ، نظريا وعمليا ، على عكس ما نقول ، سيبقى هذا الحق ملكا لنا نحن العرب .

فالامة العربية مدعوة من قبل القدر والتاريخ ، لتأدية رسالتها الحضارية ، مستجيبة بذلك الى النداءات الحارة ، التي تنبعث واضحة صافية الرنين ، من اعماقها في كل لحظة وآن . والتي تنبعث باستجداء انقاذ ، من الوعي الانساني كله .

الدور الحضاري ، الذي كان على الامة العربية ان تلعبه قد تأخر اربعة عشر قرنا ! ان العرب لم يظهروا بعد على مسرح التاريخ ، كأمة لها حضارتها الخاصة ، المنبثقة من اعماقها ومن رفاهية عقيدتها ، واتساع وشمول وسمو هذه العقيدة ، وما الحضارة الاسلامية التي انارت العصور الوسطى ، الا مزيج متماسك ، من ثقافات مختلف الشعوب ومعارفها ، ومن بقايا حضارات شتى الامم .

الحضارة العربية الصافية ، الحاملة لابدع خصائص العربي الذي تكون نهائيا في ختام بناء العقيدة الاسلامية ، لم تولد بعد . وقد آن الاوان لكي تفعل ذلك .

والعرب ، منذ تكوينهم الكامل بين مكة والمدينة ، يملكون شحنة حضارية لا حد لها ، ناضلت في جميع العصور الفوارة ، لكي تتجسد في الواقع الحي . لكن هذه المحاولات كلها سقطت ، خاصة ، منذ انهيار الدولة الاموية في المشرق . فاتجهت المحاولات بعدها ، من عمل جماعي الى نضال فردي يائس ، لكنه خارق الامتداد ، لم يزل يمشي خلال العصور حتى وصل الينا .

وليست الحضارة العربية الاسلامية ، على علوها ، الا الاثار التي خلفها فشل المحاولات العربية في المجال الحضاري ، وعلى هذا ، فنحن لا نميل الى الخيال ، عندما نؤكد بأن أية انتفاضة حضارية حديثة ، تهز الكيان العربي ، في طريقه لتفجير حضارة جديدة ، ما هي الا استمرار للانتفاضات الحضارية ، التي ظهرت عبر التاريخ العربي المنطلق بدءا من هبوط الوحي . وهذا ما يلزم كل حركة حضارية حديثة ، ان تقف طويلا ، بصبر واجهاد ، امام الاسباب الخفية العميقة التي حالت بين تلك الانتفاضات وبين نجاحها النجاح الذي يليق باصحابها ، هذا اذا اردنا ان نكون جديين للمرة الثانية طوال التاريخ العربي .

* *

كل حضارة ، يسبقها عادة عصر ارهاص ، فيه تظهر التباشير الاولية المنبئة عن الغد المقبل . وتكثر في هذا العصر عمليات الاجهاض ، في ولادات غير كاملة النمو .

والصفة الاساسية لعصر الارهاص ، هي خصب ثري في الذات التي تنتمي للامة الموعودة ، ونزوع روحي محرق في كيانها ، يجعل الفرد كالجبلي التي تفتش عن مكان يمكنها فيه ان تضع مولودها . ورفاهية الاحساس بالجمال ، من الظواهر التي تجعلنا ننظر اليها على انها دليل وجود عصر ارهاص حضاري ، وعلى انها ظاهرة حضارية في الدرجة الاولى . تضطرب الذات الجبلى وتحار ، وتصاب بوهج الاجهاض ، دون ان يكون باستطاعتها ان تلد ، حتى ولو وضعت ، فتناجها لا يغنيها شيئا، ولا يوقف آلامها ، لانها دوما تتطلع الى اجتياز ما انتجته ، وهو يجيء دوما ، مغايرا لاحساسها وادراكها . فهي تظل في حركتها المضطربة ، تحمل الهموم والالام ، تدور في كل مجال ، وتنطلق الى كل أفق . وهي تفتش عن وسيلة تستطيع الخلاص عن طريقها ، او تنال بعض الراحة بها. وهنا يبرز الجمال ، كعامل فعال ، في ان يحول هذا الاشعاع دون ان يحرق صاحبه وفي تجميد هذا الخصب المخرب من ان يأتي على الذات كلها . يحدث ذلك عندما يمتص الجمال الطلائع الاولى لقوى هذه الطاقة .

وفي هذه العملية الخفية ، التي يوقع فيها الجمال ، الذات الحضارية دون ان تدري ، تستتر ظاهرة على جانب عظيم من الخطورة .

فعوضا من أن يكون الجمال مثيرا لكوامن الابداع ، يصبح اداة ابتلاع له ، يوم يستحيل في الذات المتوترة ، من وسيلة حضارية ، الى غاية وراءها . وكأن الرؤى الحضارية تصبح هي نفسها رؤى جمالية ، ويقتضي التمييز بينهما ، وتعتقد الذات انها بالتوقف عند الجمال ، قد حققت تشكيل رؤاها في الواقع المادي ، دون ان تعي وظيفتها قط .

واذا سادت هذه الظاهرة ، في عصر يبشر بميلاد حضارة ، فمعنى ذلك أن الفاعليات الحضارية قد تجمدت ، وان ينابيع الطاقة قد تاهت عن أهدافها ، وضاعت في الفضاء ، يوم تتطور رجوعا الى حالة من حالات الرومانتيك المريضة . خاصة وان في مجتمعنا الراهن الف سبب وسبب يكفي كل واحد منها لعزل الذات الواعية في قلب قوقعة الجمال . ويكاد الامر هنا لا يختلف بتاتا عن عصر الهروب والاختباء، عصر افول الحضارة. وهذه الظاهرة خاصة بهذا العصر نفسه ، العصر الذي نعيش فيه ، والذي نحدس بأنه عصر ارهاص حضاري .

ما سبب ذلك ؟

لم كان الجمال ، في الحضارات السابقة ينبوع ابداع ، وفي حضارتنا الموعودة حاجزا لهذه القوى من أن تنطلق الى أهدافها الموعودة ؟

لم يستحيل الجمال من وظيفة بناءة ، الى وظيفة معطلة ؟

الجواب الذي يكمن وراء هذه الاسئلة، تحدده طبيعة العصر الحالي، وطبيعة الحضارة الجديدة التي ستنمو منه .

فعصرنا الحاضر ، عصر الارهاص ، في المقدمات التي تكونت منه ، وفي الاجزاء التي لم تتكون بعد يختلف أشد اختلاف عن أعصر الارهاص التي سبقت جميع الحضارات القائمة في امتداد التاريخ الانساني ، والتي كانت متشابهة فيما بينها ، من هذا الوجه أو ذاك .

فاذا كان الجمال في الماضي ، قد استطاع ان يكون اداة تفجر لقوى الثراء الحضاري ، واداة تجسيد لهذا الثراء ، فانه في عصرنا الراهن يختلف ، في وظيفته ، تمام الاختلاف عن الوظيفة التي اداها في السابق، ان في المجال الحضاري العام ، أم في المجال الابداعي الفردي .

ان الجمال ، ههنا ، يستطيع ان يقول لنا ، اذا كنا نعيش في جو ارهاص حضاري أم لا ؟ يستطيع ان يشتم اريج المستقبل البعيد ، ويقتنص من الوانه ، لكي ينبئنا ، اذا كنا في طريقنا الى ابداع حضارة جديدة أم لا ؟

بواسطته نستطيع ان نثبت الرؤى في مخيلتنا واذهاننا ، لنتفحص طبيعتها ونتأكد من ان هذه الرؤى التي تضج في مقدمة جباهنا ، وتفسد علينا صفاء حياتنا ، وتعكر هدوء عيشنا اليومي ، هي انعكاس لحضارة قادمة ، وليست مجرد صورة وهمية ، تلمع للبصيرة كالسراب يلمع للبصر .

انه مجرد كاشف حضاري ، يدل على عصر الارهاص . كاشف يبين لنا مدى كمية الطاقة التي تسكن جو الارهاص الجديد . كاشف ينبئنا ، بأننا يمكن بالعوارض التي يرسمها على اهتزازات أرواحنا ان نتأكد من ان العصر الذي نعيشه ، هو عصر ارهاص فعلي لحضارة جديدة .

انه المقياس الذي يدل الذات المتوترة ، المعرضة لغبار الارهاص الجديد ، على انها ذات حضارية ، عليها ان تؤدي ـ تلقائيا ـ رسالة معينة ، شاءت ذلك أم أبت .

وظيفة الجمال في جو ملوث بغبار الارهاص ، كوظيفة ، آلات الرصد الدقيقة التي تدل على طبيعة الغبار الكوني ، أو كوظيفة الالات الالكترونية التي تكشف عن وجود المعادن الثمينة في باطن الارض .

انتظروا عدد ((الاداب)) الممتاز

الرّوايَة الحَدِيثَة

يعد تحرير ((الآداب)) في هذه الفترة العدة لاصدار عدد ممتاز ، على مألوف العادة في كل عام ، يكون مرجعا هاما ووثيقة ادبية لا غنى عنها لاي مثقف عربي .

وسيكون موضوع هذا العدد الممتاز للعام القادم ((الرواية الحديثة)) في الادب العربي وفي الادب الاجنبي وسوف يسهم بتحريره كبار الدارسين والنقاد المعاصرين في الوطن العربي .

اما موعد صدوره فهو مطلع شباط (مارس) ١٩٦٣

ان الدهشة التي تصيب الشخصية الحضارية ، في يقظتها الاولى، امام انتصاب الجمال ، المنبثق من الحياة ، انبثاق النوافير ، واللطمة القاسية المحرقة التي تتلقاها هذه الشخصية منه على صفحة روحها ، انما هو دليل على الثراء الخصب ، الذي يتفاعل في اعماق هذه الشخصية ، والذي يصنع رؤاها .

ان الجمال ، ههنا ، يستطيع أن يدل ويعين أشراط الحضارة ، لانه من طبيعتها ، ويحوي أسمى صفاتها ، ويقف خلاصة رائعة لها ، ونموذجا حيا ناضرا ، لامتدادها المضيء .

انه كالصاروخ الكوني ، يحمل الذات الى الاعالي باتجاه رؤاها ، ثم يتساقط مرحلة بعد اخرى ، الى ان يسقط نهائيا . في الحين الذي يوصل فيه الذات الى مدارها الكوني ، لكي تدور ، كالنشوى ، حول رؤاها !

وتلك هي الوظيفة الوحيدة للجمال ، في عصر راهن ، يبشر بميلاد حضارة جديدة .

* *

لو أردنا ان نربط أسس الابداع الحضاري ، بقوانين معينة ، ولو أردنا تطبيق المفهوم الجمالي للحضارة ، كما عرفناه آنفا ، على حضارتنا الموعودة ، لكان من الواجب علينا ، ان نستمر في دربنا الممهد ، لنبرهن على أن وظيفة الجمال ، في الجو المكهرب بارهاصات حضارة جديدة ، انما هي ابداع هذه الحضارة . او على الاقل ، التمهيد لها ، وفتح ابواب المسالك العبور اليها .

لكننا نؤمن بأن الحضارة ، تستعصي على كل قانون ، وأن عمليات الابداع الحضاري ، لا تخضع لمفاهيم محدودة مدروسة ، أو مستخلصة ، يمكن أن تطبق في كل زمان ومكان .

اذ للزمان والمكان ، ونوعية الامة ، وتاريخ تشكلها ، وتراثها العقائدي ، الاهمية القصوى في نظرتنا الحدسية الى ابداع حضارة جديدة . وما يمكن أن يكون قد طبق أو استنتج من عمليات الابداع ، في الاعصر المختلفة للحضارات السالفة ، لا يمكن أن يطبق على العوامل التي ستقود حضارتنا الى البروز .

قد نستطيع ، ببعض التجوز ، ان نستدل على بدء عصر الارهاص ، في زماننا الراهن ، بواسطة هذا الثراء الذي أخذ يخصب الذات العربية المعاصرة .

وقد نذهب الى أبعد من ذلك ، فنقرر بأن التصاق هذه الذرات بالجمال ، واستقطابها حوله ، في عمليات رؤى ، ومحاولة تجسيد هذه الرؤى ، في النتاج الفكري والفني ، انما هو من الاشراط الدالة على ارتسام الاضواء الاولى لحضارة جديدة .

لكن التكوين التاريخي ، والواقع الراهن للامة العربية ، واضطراب العصر الذي يموج حولها ، كل ذلك ، يقودنا الى طريق آخر ، غير طريق الرؤى . طريق يخص الجماهير الواسعة بقدر ما يخص النخبة الممتازة ، التي تضطلع عادة ، بمهمة ابداع الحضارة .

بل اننا نجزم ، بأن النخبة من المستحيل تكوينها ، بدون الانحراف الصاعق عن طريق الرؤى ، وتحويل الوجهة عنها ، تحويلا كليا ، في محاولة خارقة للنفاذ الى أعماق الجماهير ، وايقاظها من سباتها العميق ، ومن سطحيتها الغوغائية ، لقلب المجتمع رأسا على عقب .

الوظيفة الاساسية ، لرواد عصر الارهاص ، في حضارة مقبلة ، ليس الكشف عن الينابيع الاصيلة للحضارة ، ولا تجسيد اشكالها الاولى، ولا وضع أسسها . انما هي فقط ، التمهيد العملي ، لصنع الجو ، وخلق البيئة ، وتسوية التربة التي بدونها لا يمكن لهذه الحضارة ان تمتد الامتداد الذي نتوخاه .

وهذا يقتضي ، اطلاق الطاقة الكامنة في مجاهل الاعماق الجماهيرية ، باعتبارها طاقة حضارية ، عن طريق خلق بيئة بشرية جديدة ، تبني المواطن من جديد ، وتغير المجتمع تغييرا شاملا ، مع سوق وتكثيف جميع الموارد المادية الضخمة ، وطاقاتها المدفونة في أرض الوطن الكبير ، لهذا الهدف .

وهذا لن يتم الا عن طريق الثورة .

* *

اذا كانت الحضارة ، في أبسط مفهوم ، خلقا وبناء وابداعا ، واقتحام آفاق جديدة ، وبالتالي ، تغييرا وتبديلا ، فان مفهوم الحضارة ، وفق هذا المعنى ، يلتقي لقاء التحام ، مع مفهوم الثورة . باعتبار ان الثورة هي الاخرى تهدف الى التبديل والتغيير ، ولا تقوم اصلا ، الا لهذه الغاية ، على اختلاف السبل .

فالثورة اذن ، هي الصورة العملية للحضارة . وكما يصعب ، في أغلب الاحيان ، التمييز بين الرؤى الحضارية وبين الرؤى الجمالية . فكذلك الامر هنا . اذ يصعب التفريق بين ارادة الحضارة ، وارادة الثورة .

وكما أن محب الجمال ، يعتقد بوهم المفاهيم المغلقة ، بأن ذاته تقف عند الجمال ، دون أن تعي دلالته الحضارية ، فكذلك الثوري الحالي ، في المجتمع العربي ، لا يرى ما وراء الثورة من نتائج ، سوى الاهداف السطحية الغامضة ، في الوقت الذي تكون فيه ثورته مجرد رمز حضاري ، وفي الوقت الذي تتقمص فيه القوى الحضارية ، لتحقيق ارادتنا عن طريقه .

ان كل ثوري أصيل ، ويجب هنا أن نصر على كلمة أصيل ، بعدما اصاب لفظة ((الثوري)) من تطفل وتشويه حتى القرف ، هو في نهاية الامر ، جزء من الطاقة الحضارية ، يساهم بوعي ، او بدونه ، في اقامة

الشروط الاولية لبزوغ حضارة جديدة .

فالثورة بهذا المعنى ، هي الدرب الاوحد لابداع حضارة جديدة . ويكون من المحال ان نستشرف حضارة ، دون ان نقوم بالتنظيم العملي الواعي لاشعال نيران ثورة لاهبة ، تنقي المعدن الثمين وتصقله ، وتحرق وتذيب في فناء ابدي ، المعدن الخسيس ، الذي يطفو حاليا على امتداد مجتمعنا الراهن ، حتى التخمة المقرفة .

وهنا نصل الى نقطة حاسمة ، تقرر مصيرنا المقبل كله ، فيها نلتفت عن الهدف الاساسي ، الى هدف آخر ، يقود اليه . وتتحول غايتنا من اساسها ، بصورة موقتة ، ربما تستغرق من عمر المستقبل عدة اجيال .

فبعد ان كانت غايتنا الاولى ، الدعوة الى حضارة جديدة ، تصبح الآن دعوة الى الثورة . لان مهمة جيلنا ، هي مد التربة لنمو الحضارة ، لا خلق الحضارة ذاتها . اما ابداع الحضارة ، فهي وظيفة سوف تلتصق بكيان اجيال لم تولد بعد ، أجيال سوف تلدها الثورة الحتمية المقبلة .

ان الحضارة قدر يلتصق بالامة الموعودة لابداعها ، وهي تنطلق تلقائيا ، دونما توجيه او دعوة ، كما حدث في كل الحضارات . لكن الامر يختلف اختلافا جوهريا ، في حضارة مقبلة تصنع اجواءها المكهربة ، العصور الحديثة والمقبلة على السواء ، عصورا من أبين سماتها ، السرعة المتفجرة ، في كل المجالات والميادين .

فاذا وقفنا وقفة المتأمل ، نتغزل بوهج رؤانا ، كما يتغزل العابد بقرص الشمس عند اول بروزه ، والتهينا بمآسينا الابداعيه ، وبتخمة الخصب الذي نشعر به من حين لآخر ، فواجب علينا ، عند ذلك ، ان نتابع انطلاقنا ، غير مبالين بأوضاع المجتمع ، ولا بالتكوين التاريخي والنفسي لامتنا ، ولا بتحلحل كل الاوضاع المهترئة البالية . انما الجمال هنا ، يكفي لكي نتخذ منه تكأة ، ننطلق منها الى عوالم التجسيد والابتكار .

وهذه مهمة يستطيع العشرات ان يحققوها ، على مدى تطوري بطيء ، بامكانهم ان يجعلوا من أنفسهم ، نخبة هزيلة ، تلدها نهضة شاحبة ، تسير بتعثر ووهن بلا ثورة ولا بطولة .

في هذه الحالة ، سوف تتأخر ولادة الحضارة ، ربما قرونا عديدة، حتى ولو اقبلت ، فسوف تكون صورة مشوهة للحضارة الحالية ، أو بأعلى تقدير ، امتدادا لها ، مع اضافات تنصب عليها تلقائيا ، من الامكانيات العقائدية الممتازة التي تنطوي عليها الذات العربية .

لكن الوعي المتزايد لحقيقة رؤانا ، وانكشاف السر العميق لدلالتها، يجعلنا في ادراك متزايد لرسالتنا العملية ، في واقع الحياة ، ويقودنا الى القيام بمحاولة توجيه القدر الحضاري ، وسموه الى الاسراع في تحميلنا الاعباء الضخمة التي سنسير بقواها الى وسط الحقل المشتعل بلهيب الحضارة الجديدة .

ان لارادتنا هنا ، دخلا عظيما في توجيه هذا القدر . ولاول مرة ، وقد بدأت الحضارات تتعاقب على امتداد نضوج الحياة الانسانية ، تتاح الفرصة لجيل من الاجيال ، يعيش على اطراف حدود ، سياجها مكهرب بجو حضاري ، ان يجعل من الحدس الحضاري ، فكرة عملية ارادية ، يفرضها على الزمان والعصور .

ان التدخل الارادي لهذا الجيل ، ومدى هذا التدخل ، والامكانيات التي يملكها ، والقوة التي يستطيع توجيهها وفرضها . كل ذلك ، من العوامل الاساسية التي ستعين التوقيت الواقعي للمباشرة فعليا ، ببدء عمليات ارساء قواعد هذه الحضارة .

بل ان هذا التدخل الثاقب ، هذا الاعصار الموجه ، هو الذي سيعين المنحى الرئيسي لهذه الحضارة . وهو الذي سيفرض الاسس التي يمكن لهذه الحضارة ان تقوم عليها ، وتمتد منها .

هذا التدخل سيلهب الوعي ، بأجيال برمتها ، وسيفلت ذخيرتها الدسمة من الطاقة ، التي ستلتهمها هذه المغامرة الشائكة ، البالغة حد روعة الوجد الصوفي ، والتي ستحرق الطلائع الاولى لهذه الاجيال .

والتدخل ليس غريبا عن هذه الحضارة ، بل هو من طبيعتها ، من طبيعة عصور سوف تزداد فيها سرعة الزمان ، وتمتد فيها لحظة الوقت ، كما لم تمتد من قبل أبدا .

وهذه الصفعة الجديدة للزمان ، والتي ستزداد تعقيدا في المستقبل، تفرض التدخل العامل في مجرى الحضارة . بل يكاد ان يكون من المستحيل لحضارة تولد في المستقبل ، ان تكون ولادتها بتجرد عن التدخل الارادي الواعي .

والحضارات الماضية ، كانت بطيئة النضوج . انطلقت في بدء امرها ، بدون وعي فيها . اما حضاراتنا الآتية ، فسوف تعبر عن أعلى طاقات الانسان ، ومنتهى الجهد البشري الخلاق . سوف تنحت من العقل ، وتقطع من الروح لتكون تعبيرا كاملا للذات الانسانية ، في أعلى وعي يمكن بلوغه .

وهذا ما يوجب التدخل ، بل يفرضه فرضا . وهذا ما سوف ينقذ حضارتنا من التبعية والتقليد ، لتوفر الوعي لها منذ الخطوات الاولى ، وهذا ما سوف يجعلها بعيدة عن ان تكون امتدادا متعاقبا للحضارات السابقة ، كما كانت كذلك كل الحضارات ، او استمرارا للحضارة الغربية الحديثة ، في عملية بعث لها ، تأتي من الشرق .

وبطبيعة الحال ، هذا لا يعني ، الدعوة للاستغناء عن التراث الحضاري الفخم الذي ورثناه او تجاهل انفتاحات الحضارة الحديثة ، ومكاسبها العظيمة ، انما على العكس من ذلك ، لا بد من ان نستخدم ونستفيد ونسخر هذا التراث كله في خدمة حضارتنا المقبلة .

والشرط العملي ، الذي سيأذن بانطلاق الحضارة الجديدة ، هو أن نصل أولا ، الى المستوى الفكري والعلمي التكنيكي الذي وصلت اليه الحضارة الحديثة ، ومن ثم يمكن لنا الانفصال عنها الى حضارة جديدة. وهذه الظاهرة لم تكن موجودة في الحضارات السابقة .

فنحن مدعوون الى حمل مخلفات الحضارة الآلية ، والى المشاركة في معاناة هزيمتها وتمثل جميع ما حققته من امكانيات في مختلف الميادين ، وشتى المناحي ، خاصة منها الميادين العلمية ، التي وصلت الى مرحلة غاية في الكمال والجلال .

ان حملة الرسالة الحضارية ، طلائع هذه الحضارة ، الاجيال المقبلة، يجب ان يكونوا في المستوى العلمي والفكري ، لآخر حضارة عاصروها ، ليكون بامكانهم ان يجتازوها ، ومن ثم يخلفوها وراءها ، في طريقهم الى تحقيق رسالتهم الجديدة . لان الحضارة الحالية لن تزول بسرعة — الا في حال نشوب حرب نووية — ، وستبقى صامدة عدة قرون ، أو اكثر ، ومن جهة اخرى ، فالحضارة الجديدة ، لن تنتظر تلاشي زميلتها تماما، حتى تتفضل بالخروج . انما ستبدأ طلائعها بالبروز ، في الوقت نفسه الذي تكون فيه زميلتها الغربية ، في كامل قواها ، او ما يظهر بأنها في كامل قواها . وهذه ايضا ظاهرة جديدة ، حرية بالاهتمام والتأمل .

لم يكن في الماضي ، يتطلب من طليعة الشعب النصري ، ان تصل الى مستوى حضارة ما بين النهرين كشرط أساسي لقيامها ببناء الحضارة الفرعونية .

وكذلك الامر في الحضارة اليونانية ، فهي لم تصل الى مستوى الحضارة المصرية ، ثم انطلقت منها الى حضارتها الخاصة ، والحضارة الحديثة لم تكن امتدادا للحضارة الاسلامية ثم انفصلت عنها .

فبطء الزمان كان يسوغ وجود فجوات ، في التاريخ الحضاري ، تقوم ما بين انطفاء حضارة ، واشتعال اخرى . اما في عصر حديث ، وفي عصور تالية ، فلن توجد هذه الهوة الصامتة قط ، بسبب هذا التفجر المنيف ، الذي يتفجره الوقت ، كتفجر الذرة في المفاعل الذري ، ولكثافة اللحظة الزمنية الراهنة ، بالنسبة الى شقيقتها الكسول ، في أعصر الحضارات الماضية .

وهذا الامر ، يتطلب وعيا مضاعفا بشدة ، لمنع اي شوائب روحية قد تتسرب مع هذا الامتصاص الشره للحضارة الحديثة ، لئلا تختلط بالروح الخاصة المفردة لحضارتنا الموعودة .

اذ اننا نحدس بأنه سيكون للحضارة الجديدة ، روح خاصة بها ، عربية محضة ، صافية نقية مئة بالمئة . على ان تحمل هذه الروح ، في

— البقية على ص ٧٤ —

الثورة طريق الحضارة العربية

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٤ ـ

تطورها الحضاري ، نزعة عالمية انسانية كاملة تستقيها من العقيدة الاسلامية التي ما زالت شبه معطلة ، والتي ستنطلق طاقاتها انطلاقا واسعا ، بمثيرات الارادة الثورية الحضارية .

* *

عندما نقول بأن الثورة هي الدرب الاوحد للحضارة ، فلان الثورة وحدها تستطيع ان تحقق النهضة الشاملة التي نريد بها ان نصل الى مستوى آخر الحضارات .

واذا كان من المحال ان نصل الى هذا المستوى ، بموارد مادية ضئيلة ، وبينابيع للثروات شحيحة ، فلاننا نعلم بأن الوطن العربي ، يحمل في أرضه من الثروات والامكانيات والخامات ، ما يمكننا بواسطتها ان نصل الى النهضة التي نصبو اليها .

فالنهضة الحديثة لن تنجح الا عن طريق العلم . والعلم لم يعد احتكارا للعقول والمواهب ، ولا سرا يكمن في عدة ادمغة من العباقرة ، انما اصبح مشاعا ، لكنه مرتبط ارتباطا وثيقا بالموارد المادية الضخمة ، وبالثروات المالية الهائلة ، وبالكتلة البشرية الكثيفة ، فالامة التي تملك أغنى المناجم ، وأوفر الكنوز ، والتي تزدحم خزائنها بالاموال ، ومدنها بالسكان، هي الدولة التي تستطيع استغلال العلم . ومن البديهي القول ، بان العلم الصناعي والفقر لا يجتمعان .

فمن المحال ، ان تظهر اية بوادر لنهضة ما في العالم العربي ، حتى ولو كانت نهضة هزيلة ، ما دام محافظا على وضعه السياسي الراهن ، والفقر المخزي يمتد امتداد ارجائه ، باستثناء بقع صغيرة تقوم عليها القصور الخرافية ، وبقع اخرى تقوم عليها مراكز الحكم الاستبدادي ، تجمع فئات من الدجالين والمهرجين ومحترفي السياسة من خداع الشعوب .

وتخلخل توزيع ما يستغل من الثروات الطبيعية ، واساءة التصرف بهذه الثروات ، نتيجة لتجزؤ الوطن العربي ، يفرض نتيجة حتمية ، وهي ان الحضارة العربية الجديدة ، لا يمكنها ان تقوم الا بعد وحدة الاقطار العربية . وقيام الدويلات الحضارية المستقلة ، انتهى مع انقضاء العهد الذهبي للاغريق .

وهنا يبرز عامل الوحدة ، كشرط اساسي لقيام حضارة عربية جديدة . وفي المقابل تصبح الدعوة الى حضارة عربية ، دعوة الى وحدة عربية .

ففكرة الحضارة تتضمن تلقائيا ، فكرة الوحدة .

فلا قيام لحضارة جديدة ، بدون وحدة عربية . ولن تتحقق الوحدة العربية بدون دعوة منظمة لانشاء حضارة جديدة .

اما العناصر الرئيسية التي تكون الامة العربية ، والتي تستلهم فكرة القومية العربية اهدافها منها ، كالدين واللغة والتاريخ .. الخ فهي لم تستطع ان تخطو اية خطوة في سبيل تحقيق الوحدة . ولقد كانت موجودة منذ قرون وقرون. والعرب أمة تذهب في مذاهبها، مناحي شتى. وهي في حقيقة امرها ، ليست الا المادة الخام التي تتكون منها الامة العربية .

فهذه العناصر ، بالرغم من انها واقع في مجال الحاضر ، الا ان طابعها الزماني ، يجعلها تنتمي للماضي ، اكثر من انتمائها للحاضر . ولهذا وسمت بطابع البرود والجمود والتقليد ، مما يجعلها قاصرة لوحدها ، في محاولة الهاب فكرة الوحدة العربية . فهي مجرد اطار يكون الامة العربية . والدعوة الى الوحدة بحاجة الى فكرة نارية ملتهبة ، تلحم بشواظها الشعوب العربية كافة ، وتحيلها الى امة واحدة ، قائمة بانسجام وتوافق وتماسك متين . واذا لم تكن هذه الفكرة، هي الدعوة الى بناء حضارة جديدة عن طريق العمل الثوري ، فاية فكرة تكون ؟ اما الايحاء بان استقطاب الجهود حول الارادة المشتركة للخلاص من الاستعمار ، انما هو نفسه الفكرة التي تلهب الذوات وتدفعها لتحقيق الوحدة ، فما هو الا تضليل سياسي ، يقصد من ورائه تمكين السلطة ، واستمرار ممارسة النفوذ على الجماهير ، لاصحاب هذه الدعوة ، اكثر مما يقصد منه اية خطوة عملية صحيحة ، تقود الى الوحدة .

وهذه الفكرة الجوفاء ، فكرة جزئية ، يفرضها واقع متين ، في مجال زمني محدود ، وتفرضها ظروف شاذة في الطريق الى الزوال . واستقلال بعض الاقطار العربية ، ثم عن طريق النضال الخاص بكل قطر ، ولم تكن مساعدة الاقطار الاخرى له ، الا عن طريق الخطب والاذاعات وعرض مواكب التهريج ، والعاب البهلوانيين . وتلك هي ادا النضال الوحيدة التي ما زال يمارس سحرها عالمنا العربي ، او المتسلطون الرعاع، على هذا العالم المنكوب بهم .

ان الخلاص من بقايا الاستعمار ، والقضاء على اسرائيل ، وافناء الهيئات والعائلات التي تمتص ثروات هذا الوطن ، وتعيق تقدمه ، وكشف الاحزاب الانتهازية ، وتبيان حقيقة المباديء والعقائد المفتعلة ... كل ذلك ، ما هو الا جزء من المهمة التي ستضطلع بمسؤوليتها الحركة الثورية الحضارية ابان المسالك التي تشقها للعبور الى الحضارة

* *

في مجال جو الارهاص لحضارتنا ، نحن بحاجة الى عملية سحب وتحويل ، سحب الطاقة من الجمال الذي يمتصها ، وتحويل هذه الطاقة الى الثورة التي تقف بانتظارها . وهنا يكون الانتقال من الجمال الى الثورة ، بعد وقفة تاملية لا بد منها عند الجمال ، وهنا ايضا انتقال من الخلق الفكري ، الى الخلق الثوري . وبالتالي انتقال من الفكر الى العمل . وتفضيل العمل الكثيف ، على الفكر المجرد .

وهذا ليس معناه التضحية بالفكر ، في سبيل العمل . لا ، لان الثورة نفسها لا بد لها من فكرة تبنى عليها ، وتمهد الدرب لها . فكرة تنادي الجيل ليستقطب حولها . فكرة اولية ، غير فكرة الحضارة . لان تحقيق فكرة الحضارة ، يأتي في مرحلة لاحقة لمرحلة الثورة ، اي بعد تحقيقها مباشرة . اما الفكرة المبدئية ، فلا بد ان تسبق الثورة ، وان تكون دعوة لها ، وان تستند الثورة عليها ، كما تستند الحضارة على الثورة .

من هنا نستنتج ان نظرية الحضارة تتكون من مراحل ثلاث، متعاقبة النمو والتحقق . هذه المراحل هي :

١ ـ الفكرة ٢ ـ الثورة ٣ ـ الحضارة

وكل عمل فكري ، يحوم في اجواء هذه النظرية ، هو بالطبع عمل ثوري ، لا تجسيد تأمل مبدع ، حيث لا يمكن الفصل بين العمل الجسدي المرهق في النضال الثوري ، وبين العمل الفكري المرهق ، في هذا النضال نفسه . وفي مجال الدعوة للثورة ، يلتحم الفكر والعمل ، في أعلى درجة من الوعي الذاتي ، الموصول بوعي الجماهير ، ويذوبان في تجسيد مشترك ، هو النضال .

فالطاقة المسحوبة من الجمال ، تعاد الى مصدر انطلاقها ، الى الذات ، لكي تنطلق منها مرة اخرى الى التصور الثوري ، في مشروع عمل ، والعمل الثوري ، كما تبين ، بحاجة الى فكرة يقوم عليها . فالتحول يصبح ، من الرؤى الحضارية ، الى الفكرة السياسية رأسا ، باعتبارها المرحلة الاولى من المراحل الثلاث لنظرية الحضارة .

اما الاسس التي يجب ان تقوم عليها الفكرة السابقة على الثورة ، فليس ههنا موضع بحثها ، وان كان لا بد من التنبيه الى شرط اساسي لقيامها ، وهذا الشرط ، هو ان تكون هذه الفكرة نابعة من وعي الواقع

التاريخي والنفسي والراهن للامة العربية . وان تكون انبثاقا صافيا من اعماق الذات العربية ، وتعبيرا دقيقا شاملا عن شخصيتهـــا فـــي ادق خصائصها ومميزاتها . وهذا الشرط ، يقتضي اعادة النظر بكل الافكار القومية التي راجت وما زالت تروج الى الان ، والتحقق من قيمة الافكار والمباديء التي تحاول حاليا ، التجسد في الواقع الحي ، عن طريـــق التبني والعمل . وهذه الفكرة ايضا لا بد من ان تصنع المفهوم الواضح للثورة ، ولتبرير العمل الثوري ، والبرهنة على حتمية قيامه .

* *

هذه النتيجة تضعنا امام مشكلة رئيسية ، تتعلق بصميم الابـداع ، اذ ان هذا التحول ، سيمنع عمليات الابداع من الانطلاق نحو اهدافهـــا المرئية ، وسيشوش الاذهان ، ويشوه الذوات ، ويشعل الاضطـــراب السلبي في الافكار . لان الشخص الذي يشعر بتباشير الابـداع فـــي نفسه ، من الصعب ان يتحول عن هدف تحقيق رؤاه ، لتجسيدهـا في الواقع عن طريق اداة من ادوات التعبير والتجسيد والخلق . ومن جهة اخرى فالتعبير عن هذا الابداع الذاتي ، بصورته الاولية ، لا بد مـــن وجوده ، حتى يمكننا ان نستدل به على بوادر الارهـاص في عصرنـــا الحـالي .

وتلك هي نتيجة واضحة ، فتوجيه الطاقة ، وحشد القوى لاجـل الثورة ، سوف يقلل من فرص الابداع .

لكننا ، في مجال وعينا الحضاري ، بحاجة الى الثـــورة ، لا الى الابداع الذهني ، لان وظيفة هذا الجيل ، كما كنا قد اشرنا سابقا ، هي تمهيد الطريق لحركات الابداع المقبلة ، عن طريق تحقيق الثورة ، وليست مهمته الابداع ذاته . حتى ولو شعر بأوجاع الولادة ، فما سيصنعـــه سيكون عملا ثوريا ، لا انتاجا فكريا او فنيا او فلسفيا او علميا .

فنحن عندما نضحي بهذه الامكانيات الحضارية ، فاننا نظفر مقابلها، بامكانيات اضخم واثرى ، امكانيات سوف تلدها الاجيال المقبلة ، التي سوف تعاصر الثورة ، وتأتي بعدها .

واذا شذ بعض الافراد عن هذه القاعدة ، فانتاجهم ، ولو كان من افضل الانتاج ، الا انه بجانب امكانية تحقق الرؤى ، سيكون نتاجا باهتا هزيلا ، اين منه النتيجة الزخمة التي ستنبثق من ارادة العمل الثوري .

ومع ذلك كله ، فتلك الوقفة القصيرة عند الجمال ، لا بد مـــن ان تمتص طاقتنا ، ولا بد لنا من ان نمتص بعض الوانه ومعانيه ، ليظهر فيما بعد ، في نتاجنا ، بوعي منا ، او بغير هذا الوعي . وفي حالات نادرة ، عندما تنصهر بعض النفوس الخالقة بنيران تجربة الثورة ، فسوف تولد هذه النيران المتأججة ، اعلى النتاج الفكري ، في امتداد موهبة خلـق تسبق العصر الحضاري المشرق، وتكون أعلى منه . وهذا شذوذ عن الخط العام في ثراء عبقري نادر .

لكن النقطة المرهفة ، في هذا الموضوع كله ، هي ان لا نستنقـــع ونتجمد عند الجمال المتكيف مع رؤانا . لننطلق منه ببـطء ، وبآليـة لا شعورية نحو مجالات الابداع ، مهما اغرانا بوجهه المضيء ، وبملامحه العطوفة ، ومهما اشار لنا بأنامله المضيئة الى الدروب الملونة الغارقـة بشمس الضحى . لان الابداع ، في هذه الحالة ، سيكون عملا فرديـا ، ينضج عن طريق الانطواء الذاتي ، واقتحام عالم اللاشعور ، والضياع في متاهاته الملتوية ، والغب من اوهامه ووساوسه . يجب ان نترع نفوسنا الملتصقة ببشرة الجمال ، نزعا عنيفا ، ونبقى في حالة تنبـه مستمـــر لحقيقة هذا الجمال ، واعتباره باستمرار دليلا حضاريا ، ليس غيـر ، وبهذه الطريقة ، يمكننا ان نضع هذه النفوس ، وجها لوجه امام قضية الثورة ، لشحنها بطاقتها ، عن طريق تحقيق المباديء الاولية التي تقـوم عليها الفكرة السياسية في مناداتها الصلبة بالثورة .

فالجمال لا يهمنا ، الا بقدر ما يدلنا على موضع الطاقة من نفوسنا .

* *

من البدهي ، بعد كل هذا ، ان تكون الطليعة السياسية ــ الثورية للحركة الحضارية ، مؤلفة من الاشخاص الذين يتعرضون اكثر من غيرهم لعواصف الارهاص الحضاري .

وليس من المفروض ان يكون هؤلاء ، من الذين يحسون في انفسهم، بأن مصيرهم سوف يرتبط في المستقبل ، بمجالات الثقافة ، وميادين الفـــكر .

انما قد يتعرض اشخاص، لعواصف الارهاص ، دون ان تـــكون لديهم اية فكرة ابداعية او ثقافية عن نفوسهم . قد يشتمون اريج هـــذا العصر ، وتلفحهم ذراته المكهربة ، دون ان يربطوا مصيرهم باداة معينـة من ادوات التعبير الابداعي .

بل ان الذين يشعرون بانهم على اطراف هـــذا العصر ، دون ان يملكوا وسيلة من وسائل الانتاج الفكري ، يكونون اشد اصالة ، واعمـق وعيا من الذين يسارعون الى اعتبار مؤثرات الارهاص الحضاري ، نذيرا لهم ، على انهم ينطوون على موهبة ادبية ، او عبقرية فنيـة ، او عـلى بذور لابداع فلسفي .

لان الاخرين ، قد استعجلوا الدرب . ولم يتقصوا واقع عصرهم . في حين ان الاولين قد وعوا واقع العصر الذي يعيشهم ، وادركوا بانهم لن يتغلبوا عليه الا بالعمل الثوري الثاقب ، لانه الدرب العريض الـذي يقود الى الفكر الحي ، النابض بلحم الانسان ودمه . ومع ذلك ، فـهم وقوف حائرون . لا يعرفون كيف يبدأون . والى اية جهة يسيرون .

من هؤلاء وهؤلاء ، تتكون الطليعة الثورية الحضارية لجيل الارهاص. هذه الطليعة هي المسؤولة عن وضع الفكرة السياسية ، التي تستنـــد عليها الثورة ، في سبيل هدف ، مهما بعد ، ومهما قلت الفرص لتحقيقه، الا انه هدف مرئي يلمع من بعيد صافيا متالقا ، كأفق تكومت عليه الوف اقواس قزح .

ولهذا التجمع وظيفة اساسية ، هو كونه مثيرا للطاقة المخزونة في الذوات الحضارية ، يستطيع ان يحفر مسارات ، تستطيع هذه الطاقـة المخزونة ، بانفلاتها ، ان تنساب فيها . ان الطاقة ، في راينا ، كميـة

قصص مختارة من الادب الانساني العالمي

صدر منها		ق.ل
١ ــ توماس غورديف اول (غوركي)	ترجمة بهيج شعبان	١٧٥
٢ ــ توماس غورديف ثاني (غوركي)	ترجمة بهيج شعبان	٢٠٠
٣ ــ المساكين «دستويفسكي»	ترجمة بهيج شعبان	١٧٥
٤ ــ اللؤلؤة	ترجمة : سهيل ايوب	١٥٠
٥ ــ سنان وصلاح الدين	تأليف : عارف تامر	٢٠٠
٦ ــ بخارى	تأليف : صدر الدين عيني	٣٠٠
٧ ــ عناقيد الغضب	ترجمة : الدكتور فؤاد ايوب	٦٠٠
٨ ــ وراء الرغيف « مكسيم غوركي »	ترجمة بهيج شعبان	٥٠٠
٩ ــ البيت الكبير	تأليف : محمد ديب	٢٥٠
١٠ ــ في معترك الحياة	ترجمة بهيج شعبان	٤٠٠

المجموعة الفلسفية

صدر منها		ق.ل
١ ــ الوجودية فلسفة انسانية	ترجمة : حنا دميان	١٠٠
٢ ــ الفلسفة الوجودية	ترجمة : تيسير شيخ الارض	٣٠٠
٣ ــ تأملات ديكارتية	ترجمة تيسير شيخ الارض	٤٠٠
٤ ــ رجل الدولة	ترجمة : الدكتور اديب نصور	٢٥٠

الناشر : دار صادر ــ دار بيروت

متجانسة في الذات الانسانية . وان انطلاقها في مجال من مجالات العمل . أو الابداع ، دون غيره من المجالات ، انما تعينه البيئة التي تعيش الذات فيها ، ويعينه واقع العصر بالمقدار الذي تعيه الذات .

والبيئة والعصر ، هما اللذان يهبان الطاقة سماتها الكيفية ، فيتركانها خامدة معطلة ، او فاعلة نشيطة ، ذاهبة الى هذا المجال ، او منصرفة نحو ذاك .

وان مجرد قيام الدعوة المنظمة للثورة في سبيل الحضارة ، سوف يخلق بيئات نفسية جديدة وسوف يحدد اهدافا جديدة للطاقة العربية ، ويزيد في ثرائها ، ويفتح امامها افاقا واسعة لم تلجها بعد ولم تحلم بها. بل سوف يعين اتجاهها تعيينا جديدا .

وعلى هذا ، فمن ابسط الامور ، تحويل طاقات الابداع الفكري والجمالي ، المخبوءة في الذات العربية المعاصرة ، والمستعدة للانطلاق ، بمجرد تحويلها ، الى طاقات عملية جبارة ، توضع في خدمة الثورة .

ولسوف يتم هذا التحويل تلقائيا ، بمجرد انطلاق اول شرارة من نيران الثورة .

وليس هنا اي تناقض ، فما دامت الثورة في الاصل ، تهدف الى تحقيق ابداع زخم عال ، فان هذه الطاقات الابداعية المصبوبة في الثورة تقوم بنفس وظيفتها التي كان مقدرا لها ان تقوم بها ، وهي الابداع .

لكن شتان بين ابداع ثوري ، يحقق فيما بعد ، ولو للاجيال القادمة، ابداعا عملاقا نكاد ان نكون قاصرين عن مجرد تخيله ، وبين ابداع مشوه ، تعودت ان تلقي به عصور الارهاص ، في الحضارات السالفة .

هذه الطليعة الثورية ، تستطيع بمبدأ تحركها ، ان تلفت انتباه جيلها كله ، على حقيقة كونه قد دخل عصر ارهاص حضاري جديد . وهذا ما سوف يجعله على وعي تام بحقيقة الاشعاع الذي يخرش صفحة روحه ، والذي لا يجد له الان تفسيرا ، ولا مبررا . ولا يعرف له طبيعة معينة .

ان وعي هذا الجيل ، على مصيره الحضاري ، سيجعله متمكنا من الاجوبة التي تطالبه بها يوميا ازماته النفسية ، من ضياع مستمر ، وتوتر سلبي دائم ، وانفعال متشنج يشبه نوبات الصرع .

وهذه الازمات التي اصبحت صفة تلتصق بالحياة اليومية لطليعة هذا الجيل ، انما هي متأتية من انغلاق وعي هذه الطليعة على عصرها الذي تعيش فيه .

وهذه الازمات سوف تشتد اكثر ، وتقود الى احساس بالندم المطلق تغرق فيه هذه الطليعة ، اذا وعت واقع وجودها ، وحددت مفهوم هذا الوجود ، ثم وقفت امامه مضطربة حائرة لا تدري ما تفعل .

* *

في هذه النقطة ، ليس هنالك من وقت للتامل والتردد . فالغبار الحضاري يزداد كثافة في الجو العربي ، وحرارة هذا الجو ، في ارتفاع متزايد ، واللهيب على وشك الاندلاع ، ولن يكون هنالك اختيار ابدا ، لن يكون ثمة طريق ثالث ، انما فقط طريقان .

الثورة ، او الانعزال المطلق ،

الحياة في اعلى خصبها ، او الموت البطيء

الزج في السنة اللهيب . او الغرق في طوفان العدم .

الحركة الارادية في توجيه المصير ، او ترك هذا المصير ، يدوس على الوجوه والنفوس ويسحق الارواح .

ليس ثمة من طريق اخر

الثورة ، او لا شيء ابدا .

ان جيل الشباب الذي خرج الى الحياة حديثا ، جيل العقد الثالث ، الذي تخرج حديثا من الجامعات ، والذي لم يزل على مقاعد الدراسة ، او يكافح المجتمع ، ضد فقره واندفاع امكانياته ، الجيل الذي عاش طفولته الواعية بدءا من مأساة فلسطين ، والذي اكتوت مراهقته الخلاقة بنيران الانقلابات والانتفاضات والاضطرابات التي قامت ، وما فتئت تقوم في ارجاء العالم العربي ، والذي حدق بدهشة شبابه النضير بثورة الجزائر العظيمة ، وعاش تجربتها ، كمعاناة نفسية قلقة .

هذا الجيل ، المشرف على اليأس ، الواقف على ذرى الامل ، هو جيل الارهاص ، هو جيل الخلاص . به يبدأ تاريخ جديد لامتنا المعذبة على امتداد اعصر التاريخ .

وهو ، نفسه ، دون غيره الذي يؤلف المجتمع العربي الحقيقي .

اما الاجيال التي ما زالت تسيطر على الشعوب العربية ، وتتولى قيادتها السياسية والفكرية ، وترفع شعارات الثورة والوحدة والتحرر والاشتراكية والديمقراطية .. فهي اجيال آثمة ، لم تستطع ان تقدم شيئا بطوليا ، طوال عشرات من السنين . ومرت من بين ايديها نقط المصير التي تشكلت في السنوات الاخيرة ، دون ان يكون بامكانها السيطرة عليها ، والاستفادة منها . لانها في جوهر تشكلها وصميم تكوينها ، اجيال مهترئة بالية ، مهما حاولت ان تستر عارها وهزالها بالمناداة بأشد الشعارات تطرفا وثورية .

انها اجيال منعزلة ، لن يكون لها اي دور في الحركة الثورية الحضارية ، انما ستقبع في الخلف ، ساكنة ، كالجبناء الذين يجلسون القرفصاء وراء الخطوط الخلفية، يرقبون سير المعركة، مرغمين، واوصالهم ترتجف من الخوف .

* *

لقد انطفأ الغد ، للاجيال السابقة ، التي ما زالت ، نظريا ، تعيش. ولسوف ينطفيء هذا الغد ، لبصيرة كل الذين يستنكفون عن النضال الثوري ، من ابناء جيل الارهاص ، والاجيال الطالعة وراءه .

ولن يبقى المستقبل ، بوهج ضيائه ، الا للثوريين الحضاريين ، حتى ولو ظلوا حفنة قليلة .

لانهم ارادة ثورة ، وينبوع حضارة (*) .

انور قصيباتي

(*) فصل من كتاب « الحضارة العربية الجديدة وحتمية الثورة » الذي يصدر هذا الاسبوع عن دار الآداب ببيروت .

قريبا

ازمة الجنس في القصة العربية

بقلم

غالي شكري

منشورات دار الآداب